Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قدرا من التأمل والتفكير لكشف ما ينطوى تحته من معان ودلالات وذلك أمر تستعذبه النفس ، وتستمتع به ؛ ويتولد عن ذلك أساس ثالث لبلاغة هذا اللون من التشبيه وهو أن طول التأمل والتفكير فيه يكون أدعى إلى بقاء المعانى واستقرارها فى النفس مدة أطول ، لأن النفس البشرية مطبوعة على الحرص على ما جهدت فى سبيله وتعبت من أجله .

يبقى النوع الآخر من التشبيه وهو الذى يقابل التمثيل ، ويسميه عبدالقاهر التشبيه الحقيقى أو الصريح كما ذكرنا من قبل . وترتبط قيمته البلاغية عنده بأحد أمرين أو كليهما . الأمر الأول : التباين فى الجنس بين الطرفين بأن يكون كلاهما من جنس مخالف للجنس الذى ينتمى إليه صاحبه ، وينشأ عن ذلك بعد فى الحضور النفسى لكل منهما فلا يحضر أحدهما فى النفس ، ولا يرد على الخاطر عند حضور الطرف الآخر ومن ثم لا يتيسر للغالبية العظمى من البشر أن يلمحوا علاقة التشابه بينهما ، ولا يتأتى ذلك إلا لمن أوتى صفاء فى الطبع ، ولماحية فى الخيال ؛ ونفاذا فى الرؤية . وكلما كان التباعد بين الشيئين أشد كانت قيمة التشبيه أعظم لأنه يشبع فى النفس البشرية حب التطلع إلى الجديد وشغفها به ، فقد فطرت على الإعجاب بما يظهر من مكان لم يعهد ظهوره فيه ، وعلى الاحتفاء بما يخرج من موضع ليس بمعدن له(١٦١) .

الأمر الثانى : التركيب بمعنى أن يكون التشبيه صورة مؤلفة من عدة عناصر متكاملة ، ومبنى استحسان التشبيه حينئذ حقيقة علمية ونفسية ألمح إليها عبدالقاهر ، وفحواها أن إدراك الشىء جملة أسهل وأسبق إلى النفس من إدراكه بالتفصيل ، فالإنسان بالنظرة الأولى يدرك أوصاف الأشياء التى يراها ، على سبيل الإجمال ، فإذا أعاد النظر أدرك التفاصيل ، وهكذا الحكم فى السمع وغيره ، فنحن نتبين من تفاصيل الصوت عند إعادة سماعه ما لم نتبينه عند سماعه فى المرة الأولى ، وندرك من تفاصيل طعم الذوق عند إعادة تذوق الشىء باللسان ما لم نعرفه فى الذوقة الأولى « وبإدراك التفاصيل يقع التفاضل بين راء وراء وسامع وسامع وهكذا » فأما إدراك الشىء على الجملة فأمر يستوى فيه سائر الناس .

---

(١٦١) انظر أسرار البلاغة ص ١٠٣ وانظر أيضا كتابى التعبير البيانى ص ٦٦ .